مع غزّة

إبراهيم فرغلي

ليس في التاريخ المعاصر أعدل من قضيّة فلسطين

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «كيف يُمكننا أن نعيش في هذه الغابة مواطنين عربا؟»، يسأل الكاتب والروائي المصري في حديثه إلى «العربي الجديد»

بطاقة

روائي وصحافي مصري من مواليد 1967، يعمل في إدارة النشاط الثقافي في الكويت حاليًا، صدرت له عدّة أعمال أدبيّة بين القصة والرواية، منها: «أبناء الجبلاوي» (2009)، و«بيت من زخرف» (2024). حصل على عدد من الجوائز الأدبية، منها: جائزة نجيب محفوظ» عام 2023.

الكويت ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

هواجس كثيرة في الحقيقة، حول مستقبل الوطن العربي كلّه إذا استمرّت العجرفة الأميركية في حماية الكيان المزروع في المنطقة بهذا المنطق الإرهابي، الذي لم يعُد يعبأ بأيّ قيمة تتعلّق بالكرامة البشرية، وبكلّ ما عملت عليه البروباغندا الأميركية لتسويق أكاذيبها حول الحرّيات والديمقراطية. كيف سنعيش في هذه الغابة مواطنين عربا؟ كيف سيكون مستقبل المنطقة على يد جيل غزّة من الأطفال الذي شهد هذه المآسي غير المسبوقة؟ وفي الوقت نفسه تشغلني وسائل الشباب العربي في محاولات اختراق هذا الدّرع الصخري المزيّف والمسمّى «حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها»، والكيفية التي أمكن له بها صناعة ثقوب تُخلخل أكبر كذبة في التاريخ المعاصر، بالإضافة إلى بدء خلخلة هذا الدّرع من الداخل على يد أفراد من الشعوب الأميركية والأوروبية، وقد أدركوا حجْم غسل العقل الذي تعرّضوا له.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

كان للأحداث في بدايتها أثرٌ كبير في الشعور بعدم جدوى الكتابة أو الأدب أو الفنون إزاء ما يحدُث أمام أعيُننا من عودة البشرية إلى عصر الديناصورات فجاة، وبصُلف ووحشية. ولستُ أعتقد أنّ أحداً في العالم العربي كان يشعُر في تلك الفترة بالرغبة في عمل أيّ شيء سوى مُتابعة ما يحدُث، ومحاولة المساهمة في فضْح الفُجور الصهيوني بأقصى ما يملك من طاقة، إضافة إلى مواجهة سرديّات تخوين المقاومة، لكن بمرور الوقت استعدتُ الإحساس بأهمية الدّور الإبداعي في المقاومة وضرورته في توضيح حجم الكذبة الصهيونية في العالم، أيضاً أثر العُدوان في فهمي للواقع على الأرض، في مفهوم المقاومة الوطنية التي قد تغدو موضعاً لإجماع كل فئات المجتمع الذي يئس من اللغو والكلام، وبات ينتظر فعلاً يستعيد به قدراً من حقوقه المُستباحة ولو معنوياً.

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

إلى أبعد مدىً مُمكن؛ أقمتُ ورشة لكتابة قصص عربية عن فلسطين إيماناً بأهمية الإبداع في نشر السردية الفلسطينية، وأتمنّى أن أتمكّن من نشر كتاب عن هذه التجربة في أقرب فرصة؛ قصص عربية باقلام عربية عن فلسطين. أظنّني أيضاً سأسعى لإنهاء رواية عن فلسطين، انطلاقاً من يقيني بالدور المهمّ للإبداع في دعم مستقبل القضية الفلسطينية. لقد تبيّن لنا خلال الفترة الأخيرة أنّ العالم كلّه أصبح يبحث عن الكتب التي تناولت تاريخ اغتصاب الكيان الصهيوني لأرض فلسطين، وفهْم أبعاد هذا السّطو التاريخي المُسلّح الذي تمّ التمهيد له بترسانة بروباغندا دعائية تضمّنت الكثير من الأعمال الفنّية بالمناسبة.

■ أو قبّض لك اليد، من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

أعتقد في الدّور التراكمي للإبداع، مقارنة بالنتائج الوقتية المباشرة للعمل النضالي، بالإضافة إلى أنني أؤمن بنقاء إخلاص العمل الإبداعي، ونُبل غايته، في حين أن العمل السياسي مع الأسف، قد يتداخل مع البحث عن السلطة أو النفوذ. على الرغم من أهمية العمل النضالي والسياسي بطبيعة الحال، وهو ما نرى أهمّيته الكُبرى اليوم في غزّة، مهما اختلف بعضهم في تقدير حقيقة النتائج على الأرض. فإذا قُيّضَ لي بدايةً جديدة فربّما ستكون في مجال الإبداع، ولكن ربما سيختلف منهج تسويقها، وبحث كيفية توسيع نفوذ تأثيرها.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟ لا أعرف ما طبيعة التغيير الذي يُمكن أن يأمله الفرد بعد مستوى الوقاحة الذي بلغته حكومات أميركا وأوروبا في دعمها السافر للوحشية والأكاذيب الصهيونية؟ ما التغيير الذي نأمله في عالم لا تملك أكبر إمبراطورية فيه، تزعم أنها إمبراطورية الديمقراطية، إلّا ترشيح اثنَين مثل بايدن وترامب لحكمها، ومن ثم للتأثير بسياستها العدوانية المستمرّة تجاه العالم، خصوصاً الشرق الأوسط. وفي السؤال إيجابي، ومن جهة أخرى أتمنّى أن تحدُث معجزة تُعيد للعقلانية سطوتها في المجتمعات العربية التي بأتت فطنة الخرافة والأكاذيب، وساحة للتسلّط الفردي للشعوب بعضها على بعض، وتسلّط الحكومات أيضاً، وأن تثوب إلى رشدها، وتتوقّف عن الترويج للإسلام السياسي باعتباره مسألة ديمقراطية.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

ناجي العلي. ربما سيتعلّق كلامي له حول الكيفية التي أمكنه بها أن يستشرف الكثير من أحداث المستقبل في رسوماته، وأيضاً أودّ أن أقول له إنّني، مثل ملايين آخرين، مدينٌ له بالكثير من الوعي، وربما سيمضي بيننا الحوار عن سبُل اختلاق «حنظلة جديد» في زمننا الراهن بعد أن ذهب عصر المنابر الإعلامية المحدودة، واختلف منهج التأثير والانتشار وفق مستجدات وسائل التواصل الاجتماعي. كيف يمكن ابتكار حنظلة ما بعد السوشيال ميديا؟

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

من المُفترض أن نُحاول شدّ أزركم، وتحيّتكم على نموذج الصبر غير المسبوق الذي قدّمتموه لنا وللعالم، أو أن نعتذر إليكم عن تخلّي العالم العربي عنكم، وعدم قدرتنا على فعل شيء لتغيير هذا الواقع المُؤلم، لكنني أتمنّى أن تتقوّا بأنكم علّمتمونا ما لا يُمكن أن تعلّمه لنا الحياة لعقود، وهو دَرْسٌ لنا وللعالم أيضاً، ليس لدي شكّ في أنه سيعيد شرح معنى العدل لقضية فلسطين وللعالم وترسيخه. عزاؤنا الصادق لكلّ أهاليكم وأهالينا من الشهداء وبالغ ألمنا على التضحيات والآلام.

إبراهيم فرغلي

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

فلْيشدّ بعضكم بعضاً، فليس في التاريخ المعاصر أعدل من قضيّة فلسطين.

أمام أعيُننا عادت البشرية فجاة إلى عصر الديناصورات

قصص عن فلسطين بأقلام عربية هي مشروعي القادم

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا يبحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

يا دارين، أطفال فلسطين وأنت بينهم، وحدهم الذين خلقوا في أعماقي رغبة صادقة في أنني لو عادت بي الأيام لتمنّيت، أو عملتُ على أن أكون مُعلّماً لأطفال فلسطين، لأنهم يستحقّون أن يكونوا أهلَ معرفة، ولأنهم يُمكن أن يبادلوني التعليم والمعرفة. أطفال غزّة وفلسطين عموماً قدموا للبشرية دروساً لا تقدّر بثمن، كنّا نتمنّى أن نكون في الجوار، وأن نمتلك ولو إمكانية أن «نُطبطب» عليكم ونعزّيكم في فقدكم المروّع وخسائركم في الإهل والأحباب، ونؤكّد لكم أنّ أهلاً وأحباباً يُولدون حولكم كلّ يوم دعماً لمستقبلكم الذي تستحقّون.

مجلّة

منهجيّات تعمُّق في حاضر فلسطيني ونظرة للمستقبل

التعليم في مواجهة الإبادة

يتناول ملف العدد السادس عشر من المجلّة «مثلّث التعليم»، في ظلّ ما يجري من مقتلة وتدمير مُتعمّد لاشكال الحياة واحتمالاتها المستقبليّة في غزّة

الدوحة ـ **العربي الجديد**

في عددها الرابع الذي صدر عام 2021، تطرّقت «منهجيّات»، المجلّة التربوية الإلكترونية، إلى ملفّ «التعليم والتعلّم في ظروف النزاعات والحروب»؛ فتناول موضوعات عدّة، من بينها اللجوء والحرب والتهجير وما لذلك من تأثيرات في العمليّة التربوية والتعليمية.

وفي ظلّ المستجدات الأخيرة، وأبرزها حرب الإبادة الجماعية على غزّة منذ الثامن من تشرين الأوّل/ أكتوبر الماضي، تابعت المجلّة الوضع التعليمي والتربوي في غزّة عن قُرب؛ حيث نشرت العديد من المقالات والتقارير التي تُشير إلى واقع الحال في ظلّ المجازر التي ترتكبها «إسرائيل»، كما نشرت شهادات لأساتذة ومُعلّمين تحدّثوا عن الوضع الذي يعيشه قطاع التعليم في غزّة بظلّ حرب الإبادة.

«التعليم في زمن الحرب» هو عنوان ملفّ العدد السادس عشر من المجلّة، والذي تناول «مثلّث التعليم»، أي مبنى التعليم وإدارته ومعلّميه، والمتعلّمين والطلّاب، وأخيراً الأهل، خصوصاً في ظلّ ما يجري من مقتلة وتدمير مُتعمّد لأشكال الحياة واحتمالاتها المستقبليّة في غزّة.

يتضمّن ملفّ العدد مقالات تربوية وتعليمية واجتماعية تبحث في تبعات تعطّل العملية التربوية مع ازدياد فترة العدوان، وما تسبّبه من خسائر في التعليم، إضافة إلى تراجعه قياساً إلى عوامل أخرى تكتسب أولوية مثل مفاهيم الأمن وتأمين سبل الحياة والتعامل مع المشاكل اليومية المباشرة، وتأجيل ما يمكن تأجيله على فداحته وخطورته. إنه عدد يغوص في الجرح، وفي ممارسة التعليم والتعلّم وسط الدمار الذي تشهده غزّة، وهو أيضاً فعل مقاومة.

من التدخّلات النفسية مع جروح الأطفال غير المرئية في الحرب، إلى ما يجب أن نفعله في اليوم التالي من العدوان، وما بينهما من مصطلحات جديدة تقتحم لغة الأطفال والطلبة الفلسطينيّين عموماً، دون نسيان التهجير وفقدان الفرص التعليمية وضرورة دعم من هُجّر وشُرّد، وصولاً إلى ضرورة وضع مناهج تُواكب اللحظة الراهنة، تنوّعت موضوعات الملفّ، كما تنوّعت زوايا الرؤية. فليس المهمّ هنا الحديث عن اللحظة الراهنة وحدها، بل يجب أيضاً التفكير فيما سيحدث، أي في مستقبل التربية والتعليم ومستقبل الطلبة الفلسطينيين.

«نجونا من الموت، لكننا لسنا بخير!» عنوان الكلمة الافتتاحية للعدد الذي تضمّن ملفّه ثماني مقالات، هي: «آليات التعامل مع الأطفال الذين تأثّروا بصدمة الحرب» لجمانة خروفة حزبون، و«التعلّم وسط الدمار: تعزيز التعليم الآمن والداعم في غزّة» لجالا رزق، و«التدخّلات النفسيّة مع جروح الأطفال غير المرئية في الحروب» لشادي عماري، و«التعليم في اليوم التالي من الحرب: ماذا يجب أن نفعل؟» لنورا مرعي، و«التعليم في سياق الأزمات: كيف يُمكن لمعلّم فقَد الأمل أن يعلّم طلّابه الأمل؟» لرولا قبيسي وجنفياف أوديه، و«مصطلحات جديدة تقتحم قاموس الطلبة الفلسطينيّين في ظلّ العدوان الإسرائيلي» لمحمّد عوض شبير، و«منهاج مرن ومعلّم سريع الاستجابة» لمحمد تيسير الزعبي، و«التهجير وفقدان الفرص التعليمية: تحدّيات دعم الطلّاب المهجّرين في الدول المضيفة» لياسمين أحمد حسن.

وإذا كان ملفّ العدد، في القسم الأول من المجلّة، قد تناول اللحظة الراهنة، لحظة العدوان والإبادة، وتأثيراتها النفسية والتربوية والاجتماعية، فإنّ قسمها الثاني «مقالات عامّة» إطاره المستقبل، إذ جاءت مواضيعه في سياق الإبداع بإيجاد الحلول وتحديد مناهج الدراسة، وتبنّي أشكال جذريّة من التعليم مثل مقاربات التعليم المجتمعيّ والتحرّري والمجاورة، وتضمّن سبعة مقالات، هي: «التعليم التحرّري: نحو وعي نقديّ يتحدّى منطق القوّة والقهر» لنضال الحاج سليمان، و«من التعلّم عن الحياة إلى التعلّم للحياة» لوليد إمبارك، و«بوصلة التفكير: فهم الممارسات التربويّة في ضوء نظريّة في علم الدماغ» لهنادي هاني نصر الله، و«تعزيز تدريس الدراسات الاجتماعيّة في منهج STEAM استراتيجيّات وتحدّيات» لمروان أحمد حسن، و«الإشراف التربويّ: من رقابة الأداء إلى دعم تطوّره والمشاركة فيه» لجميلة حسن الغول، و«بناء ثقافة الاحترام الإيجابيّ غير المشروط لتبريزا ميلبتو كونرز، و«صنّاع العقول ومحو الذكريات: المعلّمون يكشفون عن تجاربهم الصعبة والمؤثّرة» بتوقيع فريق التحرير.

إلى جانب ما سبق، يتضمّن العدد أبواب المجلّة الثابتة: «مفهوم تربوي»، و«تقرير حول التعليم»، و«بروفايل»، و«كتب تربوية»، و«اقتباس تربوي»، و«مُحاورة»، وربّما يتلخّص مضمون هذا العدد في ما قالت أسماء مصطفى، المعلّمة الغزّيّة الصابرة، في باب «مُحاورة» العدد: «نجونا من الموت لكنّنا لسنا بخير» والذي اقتبس منه عنوان افتتاحية العدد. وهو ما يختصر وحشيّة العُدوان على الناس، فالنجاة من الإبادة مجرّد بداية، والعمل سيكون مضنياً لإعادة الناس بعد العدوان.

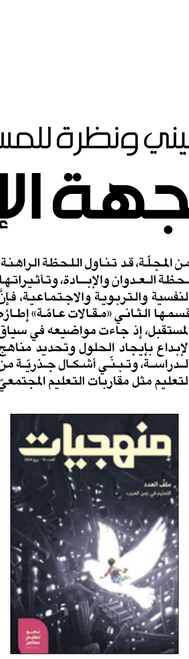

مقالات تبحث في تبعات تعطل العملية التربوية بسبب العدوان

أطفال فلسطينيون يحملون لافتات في «يوم الطفل العالمي»، الخليل، 4 نيسان/ إبريل 2024 (Getty)

يوميات

مدينة القلب، مقاومة فوق الخيال

خانيونس... خانيونس

رَدمُ الغزاة أكثر من سبعين بالمائة من بيوتها ومنشآتها العامة، وقتلوا آلاف المدنيّين نساءً وأطفالاً. أرى خرائط إعدام العمران من الجو، وأكظم. فالأسى، مُلحق عليه، وليس الآن وقته

باسم النبريص

من آثار الإبادة الصهيونية في خانيونس جنوبي قطاع غزة، 14 آذار/مارس 2024 (Getty)

زمان، عشتُ مع الطبيعة في أبهى حللها. أقصدُ أحراش خانيونس، زمن الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، قبل أن يمسحه المستوطنون، ويحوّلوه إلى مزارع وبلدات رفاه. كنتُ أقرب ما أكون لعالم النبات والحيوان والطير والزواحف، وكنتُ أراقب كيف تنمو الشجرة: كيف يكبر فرخ العصفور ثم يغرّد. كيف يتحرّك الرمل الذهبي، فيصنع تلاً هنا، وهضبة صغيرة هناك، وبعض التموّجات على هضبة. وكلّ هذا، عبر سنوات وسنوات، مع الخلوة الماتعة، فتنني، وكانت الفتنة بالموجود، لأفهم ما هو، في بعض الأحيان، الدافع المؤلم للفلسفة.

لقد ادّعى أرسطو أنّ القدرة على العجب تُحفّز الناس على الفلسفة، لكنّ توصيفه غير كامل. لو قال الفتنة، لأصاب كبد الحقيقة بشمول. فالعجب جزء من الفتنة، وليس هو كل شيء. طبعاً، لم تكن الصورة مثالية في كلّ وقت. كانت تأتي أوقات من الملل، ويُبحث المرء عن طريق مختصر للخروج من هذا المأزق.

سبحان الربّ! في بعض الأحيان يا أخي، تكون الفلسفة غريبة جداً عن بيئتك ومعاشك: عبئاً إضافياً مُلقى على كتفين هزّاتهما أصلاً حياة الفاقة في المخيم. وحتى لو تطلّع المرء إلى التفلسف مع الذات المعرفية، فإن بوصلة اللاوعي تشير إلى عضال وقوعك وشعبك تحت بساطر الاحتلال. وهنا لا بد من المجادلة والمكابدة بالسلاح، حتى يجد المرء مخرجاً ممكناً. خانيونس مكان تعليمي العاطفي. واليوم هم أطاحوا بأكثر من سبعين في المائة من بيوتها ومنشآتها العامة. لم يبقَ سوى القليل، ويحتاج إلى ترميم ليس سهلاً.

أمس قال أحد مجرميهم العسكر، إنّ ما واجهوه في مدينة القلب، فوق الخيال: يخرج لهم مقاتلونا الشباب، ليدافعوا عن كلّ شبر فيها، من كل زاوية وزقاق ومطرح. هو وصفهم بالمقاتلين الأشدّاء الانتحاريّين، ونحن طبعاً نضحك من ابتذال هذه اللغة.

هو يعرف كما نعرف، أنّ مدينة القلب، هي عاصمة المقاومة في القطاع. وأنّها تواصل تاريخاً ساطعاً من الصمود والتصدي والبسالة. ولقد بدأ هذا التاريخ من أوائل خمسينيات القرن المنصرم. بسالتنا تقليد من تقاليدنا الراسخة، كشعب أصيل صاحب وسيّد هذه البلاد. أرضنا حرام عليهم، ولن يمرّوا إلّا على أجسادنا.

وهذا ما يحصل الآن حرفياً في كل متر من أنحاء المدينة. المدينة التي لهم شهورٌ فيها، ولم يستطيعوا إلّا ردم أكثر من سبعين بالمائة من بيوتها ومنشآتها العامّة، وقتل عديد الآلاف من المدنيّين نساءً وأطفالاً.

أرى خرائط إعدام العمران من الجو، وأكظم. فالأسى، مُلحق عليه، وليس الآن وقته، لكن ماذا أفعل مع الحنين، وحنيني الضاري لكلّ شبر فيها، محشوٌّ بالديناميت في الأحشاء؟

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

ماذا أفعل مع الحنين وحنيني لكلّ شبر فيها محشوٌّ بالديناميت

فعاليات

حتى الـ12 من الشهر المقبل، يتواصل في «غاليري عيون اللاجئين» بمدينة سان فرانسيسكو الأميركية معرض **غزّة بين الحياة والفَقْد** الذي افتُتح مساء الجمعة الماضي. يُشارك في المعرض خمسة فنّانين من غزّة، هُم: الرسّامتان **ملك مطر** و**بيان أبو نحلة**، والمصوّرون: **سهيل نصار**، و**اصيل الكباريتي**، و**رهاف البطنيجي**.

ضجيج على هامش التلّ عنوان المعرض الافتراضي الذي أطلقته «مؤسسة تامر» الفلسطينية في الثلاثين من الشهر الماضي عبر منصّاتها الإلكترونية ويتواصل حتى نهاية الشهر الجاري. يأتي المعرض ضمن مشروع **«امتلاك المكان»** الذي شارك فيه شبابٌ من قرية الكرمل بالقرب من مدينة الخليل، وقدّموا رُسومات وصُوراً فوتوغرافية وكتابات توثيقية تتناول واقع الحياة في القرية.

تُنظّم «مكتبة قطر الوطنية» في الدوحة صباح الثلاثاء، الثالث والعشرين من الشهر الجاري، **ورشة مكثّفة في كتابة السرد التاريخي غير الروائي** تتواصل لثلاثة أيّام. تُضيء الورشة التي تقدّمها الباحثتان **رخشاندا جليل** و**انيتا بورديت** على الأرشيفات، وأمثلة ونماذج للموضوعات المقترحة ومصادر العثور عليها.

حتى السادس عشر من حزيران/ يونيو المقبل، يتواصل في «موزاييك رومز» بلندن معرض **اداء السُّمّية الاستعمارية** الذي انطلق نهاية الشهر الماضي. يُوثّق المعرض البرنامج النووي الفرنسي السرّي في الجزائر أثناء ثورة التحرير وبعدها، من خلال الخرائط والصور الفوتوغرافية والأفلام والوثائق والشهادات الأرشيفية.